

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝
كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَتَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان في خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقليل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمذه من الخيرات ، وقيل معناه استعدته وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن فى الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهمه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرهما بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الآفدة) أى تباغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلفة (فى عمد ممددة) العمدة جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرى عمد بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفى المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تنقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمدة فالحجور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للسكينة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها

عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٌ ۝

سورة قريش : مسكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝ إِيْلَافَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحجج الناس إليه كما يحجون إلى السكبة فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم السكبة فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصدمكة فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا إلى السكبة وأخذوا بعد المطالب مائتي بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في السكبة وقد جئت طمعا وهي شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذى الغميس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غير هاهول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضغوه بالحديد فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضرأ عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره ووقع في سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فساتوا في الطريق متفرقين في المراحل وتقطع أبرهة أملة أملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر (في تضائيل) أى لإبطال وتخسير (أبائيل) معناه جماعات شيئا بعد شيء قال الزحشرى واحدا أباله وقال جمهور الناس هو جمع لا واحدا من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحصاة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا (سجيل) قد ذكر (كعصف مأ كول) العصف ورق الزرع وتنبه والمراد أنهم صاروا رميا وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته بجمع التلف والحسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن . الثاني أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود . الثالث أنه أراد كعصف مأ كول زرعه وبقي هو لاشيء

(سورة قريش) (إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حى من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريش إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أنفاذ ويوت نحو بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وغيرهم وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجارا ، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا ؟ قال : لندابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلو ، وكانوا ساكنين بمكة ، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام ، وقيل كانت الرحلتان جميعا إلى الشام ، وقيل كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل ، فيقيمون بها ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكنائهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفتة وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألف الرجل الشيء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف وعلى الثاني أن الله ألفهم الرحلتين واختلف في تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم : الثاني أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش : الثالث أنه

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدنية الباقي : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ اطْعَامِ
الْمُسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بمقابله
من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما وقد قرأهما عمر
في ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولاً ، مطلقاً ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيماً للأمر
ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر ۝ كلوا في بعض بطونكم تمفوا ۝
(فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذي
أطعمهم من جوع) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال
حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع
والكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم
من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم في
بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله ۝ رب اجعل هذا بلداً آمناً ۝ وقد فسرناه في موضعه أو يعني آمنهم في أسفارهم
لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل
آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوماً قال لزمخشري : التنكير في جوع وخوف لشدةتهما

﴿سورة الماعون﴾ (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب وقيل
هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذي يدع اليتيم) أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن
إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد الذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى
وهذه الجملة هي جواب أرأيت لأن معناها أخبرني فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذي يكذب بالدين
تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك
السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا
نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكية ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي وذلك
أن ذكرى أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها
إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي ، وقيل إنها مكية كلها وهو
الأشهر ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان ، وقيل مدنية ، والسهو عن الصلاة
هو تركها أو تأخيرها وتأنيها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون
قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذي قال ۝ عن صلاتهم ساهون ۝ ولم يقل في
صلاتهم (الذين هم يراؤون) هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ يَسَّىٰهَا الْكٰفِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَتَمَّ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفي الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثاني أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذي لا يحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد في بعض الطرق الإبرة والخميرة ((سورة الكوثر)) (لنا أعطيتك الكوثر) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والكوثر بشاء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال : الأول حوض النبي صلى الله عليه وسلم : الثاني أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والتابع ، الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثاني أنه صلى الله عليه وسلم كان يصحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون الأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أي لوجهه لا غيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاختصاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحر في افتتاح الصلاة (إن شئت لك هو الأبر) الشاني هو المبعوض وهو من الشئان بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل ، وقيل في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمداً أبتر أي لا ولده ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالده إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم ((سورة الكافرون)) سبب هذه السورة أن قوماً من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا وتبع دينك أعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئاً ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لا أعبد ما تعبدون) هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزحشرى وهو أن قوله لا أعبد ما تعبدون يريد في الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّاعْبُدْتُمْ ۖ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝

سورة النصر

نزلت بمكة في حجة الوداع فتعد مدنية وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ

ولا أنا عابد ما عبدتم يزيد به فيما يضى أى ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطالبون ذلك منى الآن
الثانى قاله ابن عطية وهو أن قوله لا أعبد ما تعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولا أنا
عابد ما عبدتم أى أبدأ ما عشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال بقوله لا أعبد
لا يحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لا أعبد ما تعبدون يراد به المستقبل على حسب ما تقتضيه
لا من الاستقبال ويكون قوله ولا أنا عابد ما عبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته للأصنام فى الحال
والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولا أنا عابد ما عبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشري ومن معنى
الاستقبال فان قولك ما زيد بقائهم بنى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) هذا إخبار أن هؤلاء
الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين
ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل
والأسود بن المطالب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ما أعبد
بمادون من التى هى موضوع لمن يعقل فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لا أعبد ما تعبدون فإن هذا
واقع على الأصنام التى لا تعقل ثم جعل ما أعبد على طريقته لتناسب اللفظ . الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد
الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري . الثالث أن ما مصدرية والتقدير لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى
وهذا ضعيف ، فإن قيل لم كثر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى ؟
فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشري وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله
ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (لكنكم دينكم ولى
دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة مذخوخة بالسيف

﴿سورة النصر﴾ سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا
إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال
لابن عباس بمحضرهم يا عبد الله ما تقول أنت ؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعليه الله بقره إذا رأى
النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ما علمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثراً أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني
أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ما أراد إلا حضور أجلي وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمكة
أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوماً ونحوها قال ابن مسعود هذه
السورة تسمى سورة التوديع (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرها من البلاد التى
فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صالح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر لإسلام أهل

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

سورة المسد : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ٥ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٥ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٥ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٥ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

العين والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشهر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه في فتح مكة عشرة آلاف وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم ، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح ، عند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكري أعلى النصر والفتح وظهور الإسلام وأمره بذلك وبالأستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاد الآخرة وعدة للقاء الله ﴿سورة أبي لهب﴾ سببها أنه لما نزل قوله تعالى «رأى نذر عشرين تك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ثم أذّرهم عمر ما وخصوصا فقال له أبو لهب تبأ لك لهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبّت يد أبي لهب) معنى تبّت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا : الثاني أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وعمه معاوية وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطباً وشوكاً فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. الثاني أن ذلك عبارة عن مشيتها بالقيمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالتمام . الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به : الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (في جديها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفي المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها . والآخر أنه حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل . الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لا تنفقها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بترجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحالة الخطب خبره ، أو يكون حالة الخطب نعت والخبر في جيبها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوف على الضمير في يصلي وحالة الخطب نعت أو خبر ابتداء مضمرة ﴿سورة الإخلاص﴾ سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وأنسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصاص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفي رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعواذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لآي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفي رواية خرجها الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما جاني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفواً أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله واحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى . الأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد . والثاني أنه واحد لا نظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جداً وأوضحها أربعة براهين : الأول قوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق » لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكاً له ، والثاني قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » والثالث قوله « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتعوا

إلى ذى العرش سبيلا ، والرابع قوله « وما كان معه من إله إذا أذهب كل إله بما خلق ولما لا بعضهم على بعض ، وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله « وإلهكم إله واحد » (الله الصمد) في معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أى يلجأ إليه ، والآخر أنه الذى لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله « وهو يطعم ولا يطعم » والثالث أنه الذى لا خوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ووجهه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أى تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ووجهه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورد معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في مريم « وقالوا اتخذ الله ولدا » ثم أعقبه بقوله « إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا » وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد » وقوله « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض » وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد » فيكون برهانا على نفي الولد ، قال الزمخشري : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الخوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى في قولهم « عيسى ابن الله » واليهود في قولهم « عزير ابن الله » والعرب في قولهم « الملائكة بنات الله » وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فوصفهما بصفة الحدوث لينفى عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ، الثاني : أن الولد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى » الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافى النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انساب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذى لا افتتاح لوجوده القديم الذى كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفؤاً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشري يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفياً للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز في كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضاً كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمدة ويجوز فيه الهمزة والتسهيل واتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالاً لكونه كان صفة للكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقاً إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذى يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد » يقتضى نفي الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ٥ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٥ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٥ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٥ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتناء به الرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فقص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيذا لإقامة الحجة عليهم

﴿سورة الفلق﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعادنا الله منها وما هنا وصوله أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى : إلى غسق الليل ، وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعيني بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهبج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذر إذا قام حكي النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكي ذلك السهمي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكي ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فوضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أرجح : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن اتهمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وقتلنهن . والثالث أن يستعاذ بما يصيب من الشر عند نفثن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبو هن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

سورة الناس : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

النفاثات بالآلف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريفة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعاً وشرعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لأدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته في هارجاه انتفاها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغم فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة والله در القائل وإن لا أرحم حسادي أفرط ما ضمت صدورهم من الأوغار ۝ نظروا صنع الله في فعلهم ۝ في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر : إن يحسدوني فإني غير لأثمهم قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم مآبى وما بهـمـم ومات أكثرنا غيظاً بما يحسد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم واقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الخذاق هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه

العين الخسة على عينك ، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد إذا التي تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟

فالجواب أن شر الحاسد وهضرته إنما تقع إذا أذى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين

الحسود قاتلة وأما إذا لم يضر حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فخرجه من الحسد أن لا يسقى ويخرجه من الظن أن لا يحقق

ويخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته

كل ما ذكر بعده فالأى شيء ذكر ما بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم واقد تأكد

ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

(سورة الناس) (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء ؟ فالجواب

أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التوحيد والمقصودون

هنا دون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم ملك ثم إله ؟ فالجواب

أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب

الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۖ

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر لا أرى الموت يسبق لموت شيء * يغص الموت ذا الغنى والفقر (الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعذل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك (الذي يوسوس في صدور الناس) وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفتة والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنهم غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الإنس والجن » أو يريد به نفس الإنسان إذ أمره بالسوء فأنها أمارة بالسوء والاول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا من يوسوس والاول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد نختم بها يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثاني يظهر أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلها ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لأرب غيره